

الاستشراق الروسي

د. محمد يحيى خراط ❁

بدأتِ الصلاتُ بينَ العربِ والروسِ منذُ العصر العباسيِّ الأولِ عنْ طريقِ تجارِ بغدادَ الذين قصدوا روسيا للبيعِ والشراءِ. وإنَّ أقدمَ وصفٍ عربيٍّ لروسيا كتبهُ أحمدُ بنُ فضلانَ الذي أنفذهُ الخليفةُ المقتدرُ سنةَ ٩٢١م إلى ملكِ البلغارِ، الذي كانَ يقيمُ على ضفافِ الفولغا. وكانتْ هناكَ صلاتٌ أخرى عنْ طريقِ الحُجّاجِ الروسِ إلى بيت المقدسِ الذينَ وصفُوا ما شاهدُوه في رحلاتِهم، ومنْ أشهرِها رحلةُ الأبِ دانييل، وقدْ كتبها بالروسيةِ سنة ١١١٣م ثم تُرجِمَتْ إلى الفرنسيةِ.

❁❁ صيدلي وباحث في التراث العربي ووزير سابق.

العمل الفني: الفنانة وفاء كريدي.

وفيمـا بعدُ اكتسحَ جنكيز خانُ (١١٦٢-١٢٢٧) بلداناً كثيرةً خالطاً مدنياتِها بعضها ببعضِها الآخرَ بعد تغلبه عليها، ولكنّهُ عجزَ عن إبداعِ حضارةٍ متميزةٍ تُعرَّفُ به أو بقومه وذلـك لميله إلى السلب والهدم وأخذِه الناسَ بالقـوة والعنـف، وكان قد بلـغَ روسيا سنةَ ١٢٢٤م. وعلـى أيام حفيـدِه باتوخان غزا المغولُ روسيا، وأغـاروا على بولونيا والمجرِ ودلماثيا، وعبروا الدانوبَ إلى بلغاريا. ثم جاء تيمورلنكُ فانتسـبَ إلى جنكيز خان، وأنفذ أحـدَ قـوادِه المدعو تقتمش لغـزوِ الروسِ، فاستـولى على موسكـو ونهبها ثـم احتلَّها تيمورلنك نفسهُ سنةَ ١٣٩٥م. وقد سيطرتْ حاميـةٌ إحدى قبائلِ المغـولِ على قسمٍ من روسيا مـدةَ مئتينِ وأربعـينَ عاماً فطبعتْها بالطابـعِ الإسلامـيِّ في الديـن والثقافـةِ والحضارةِ.

ولـما سقطـتِ الإمبراطوريـةُ المغوليـة خرجَـتْ روسيا ابتداءً من القـرنِ السادسَ عشرَ من حدودِها الأوروبيةِ إلى آسيا، فربطَ الإسـلامُ بينهـا- بعد أن أصبـحَ فيها نحو ثلاثـةٍ وعشرينَ مليوناً من المسلمينَ في آسيا والقوقاز- وبينَ اللغةِ العربية بروابطٍ دينيةٍ وتاريخيـةٍ وثقافيةٍ وثيقـةٍ، ولطالما فاخرتْ روسيا بإسهـامِ مفكريها في إنشـاءِ التراثِ العربيِّ: كالخوارزمي، والبيروني، وابنِ سينا، والفارابي.

وفي مدينـةِ تفليسَ ظهـرَ أولُ قاموسٍ عربيِّ-جورجيٍّ. وما يزالُ في ولايتَيْ بخارى وقاشقادارِيـا في آسيـا الوسطـى أكثرَ من خمسـةِ آلافِ عربيٍّ يتكلمـونَ العربيةَ حتّى اليومِ. ولا يدري أحدٌ هلْ تغلغلَ فيها أحفادُ العربِ تحتَ لواءِ الإسلام في عهد الفتوحِ أو استوطنوها بعـدَ أنْ أجلاهم تيمورلنك عن سورية والعراقِ في القرنِ الرابعَ عشر؟

وللمسلمـينَ في قازان مدرسـةٌ للأئمة، تُعنى بالقرآن الكريمِ وعلم الكلام والفلسفة والمنطقِ، كمـا تُعلّمُ مدارسُهـم المنتشرة في جميـع ولاياتِهـا القرآن والحديـثَ، وفيهم نخبةٌ مـن العلماء بين متمكنٍ مـن العربيةِ وبينَ مُلمٍّ بهـا، ومعظمُهم يتسمـى بأسماءَ عربيةٍ، ويصومون رمضانَ، ويحافظون على تقاليدِ الإسلام.

وبعدَ أن أخذَ الغـربُ بالاستشراقِ أخذاً علمياً وذلك عندما نظمَتْ فرنسا بعثةَ فتيانِ اللغاتِ سنة ١٦٩٩م، وأنشأتِ النمسا مدرسةً لتعليم السفـراءِ والتجار اللغـاتِ الشرقية سنة ١٧٥٣م، أرسلَ بطرسُ الأولُ خمسةً منْ طلابِ موسكو يتعلمـونَ اللغاتِ الشرقيةَ في الشـرقِ. وجرتِ الملكةُ كاترينُ الثانيةُ مجراه، فأمَرتْ بتعليمِ العربية سنة ١٧٦٩، ثم التتريةِ

في مدرسة قازان إعداداً للتراجمة. واتصلتْ روسيا بالمدرسة الهولندية الاستشراقية، وأفادَتْ منها، كما أفادَتْ من قيام مجمع العلوم الروسيِّ الذي عَنِيَ بعض أعضائِه بالاستشراقِ أمثالُ «باير»، الذي درسَ اللغاتِ الساميةَ، وجمع بعضَ الموادِ العربية التي فتحت البابَ لِمَنْ جاء بعدَهُ، ثم العالِم «كير» أحدُ مترجمي وزارة الخارجيةِ الروسيةِ ومن أوائلِ المستشرقين الذين بدأوا تدريسَ العربيةِ في موسكو، والمستشرقُ الألمانيُّ «ميخائيليس» (١٧١٧-١٧٩٠م) الذي قصدَ موسكو ودرس العربيةَ فيها.

بَيْدَ أن نشاطَ هؤلاء المستشرقين وأثرَ الذين وفدوا على الشرقِ العربيِّ، وكتبوا عنه كالربان «بلشكين» الذي طوَّف بلبنانَ وسورية وفلسطينَ، وألَّف عنها كتاباً بعنوان: ذكريات، والقائدِ البحريِّ «كوكوفتسوف» مصنفِ كتابِ المغرب (١٧٨٦-٨٧) ظلَّ قليلَ الشأنِ وحتى صدور القرآنِ الكريم على نفقةِ كاترينَ الثانيةِ في بطرسبرجَ سنةَ (١٧٨٥- ٨٧ - ٩٠- ٩٣- ٩٦- ٩٨، وقازان ١٨٠١م)- لأسبابٍ سياسيةٍ- كاد يمرُ دونَ أنْ يشعرَ به أحدٌ على حين أحدثَ ضجةً في أوروبة جمعاء. ولم يصبح الاستشراق علماً قائماً بذاته إلا بعد أن أصبح جزءاً من النظام الجامعي سنة ١٨٠٤ الذي أدرج اللغات السامية: العربية والفارسية والتركية والمغولية في مناهج المعاهد العليا.

وإذا انتقلنا إلى فترة الحكم السوفييتي الذي تشكل مع بداية القرن العشرين نجد أن الحركة الاستشراقية عند المستشرقين السوفييت قد توجهت إلى تراث العرب الفكري بمختلف أشكاله من وجهة نظر ماركسية، أي على أساس مادي تاريخي من حيث المنهج وعلى أساس الاشتراكية العلمية من حيث الأيديولوجيا. وذلك يعني أننا لن نجد في دراساتهم للتراث العربي تلك الوجوه السلبية الأساسية التي وجدناها لدى بعض المستشرقين والباحثين الغربيين، أو لدى بعض الباحثين العرب المحدثين الذين ينطلقون في دراساتهم من مواقف وأفكار مسبقة.

إن المستشرقين السوفييت المتأخرين لم تكن الصورة لديهم واضحة عن شكل العلاقات الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية خلال القرنين الخامس والسادس الميلادي وفي مرحلة نشأة الإسلام، ولعل ذلك يعود إلى أن المعطيات التاريخية عن تلك المرحلة من تاريخ العرب لم تكن بالمستوى الذي يمكّن الباحث العملي المعاصر من تكوين صورة واقعية كاملة، ولذلك لم يبق للباحث المعاصر ولاسيما غير العربي إلا أن يعتمد المؤلفات المتأخرة عن العصور

الإسلامية الأولى، أو كتابات الرحالة المحدثين وأصحاب الدراسات الحديثة. إلا أن المستشرق الروسي السوفييتي أغناطيوس كراتشكوفسكي المعروف بتعمقه بالدراسات الاستشراقية العربية جعل اعتماده الأهم على الشعر الجاهلي من حيث كونه أقدم أثر للغة العربية، وهو يرى أن الشعر الجاهلي يمثل صورة صادقة وأمينة لملامح الحياة العربية بكاملها، وهو يرفض جميع الافتراضاتِ التي تشككُ بصحةِ انتسابِ هذا الشعرِ إلى العصرِ الجاهليِّ -وهو ما ادّعاهُ طه حسين- وذلك لفقدانِ الأدلةِ القاطعةِ التي تشككُ به كمصدرٍ تاريخيٍّ لدراسةِ عصرِ ما قبلَ الإسلام.



ولتوضيحِ صورةِ الدراساتِ الاستشراقيةِ السوفييتيةِ فإنّنا نذكرُ بعضَ الأمثلةِ الهامةِ، منها:

١- ما كتبهُ المؤرخُ السوفييتيُ بوخوفسكي عن المعرفةِ في فلسفةِ ابن سينا.

٢- ما كتبهُ مؤرخُ الفلسفةِ السوفييتيُ تراختن برغ في كتابهِ «لمحةٌ من تاريخِ أوروبة الغربيةِ في القرونِ الوسطى» والذي خصص نصفَهُ تقريباً لدراسة الفلسفةِ العربية الإسلاميةِ مُرَكِّزاً على دراسةِ المعتزلة وابنِ رُشدٍ.

٣- ما كتبهُ البروفسورُ سنكوفسكي في محاضراتهِ عن تاريخِ الفلسفة حيثُ يصرحُ بأنَّ الماركسيةَ ترفض القولَ بأنَّ ابنَ سينا وابنَ رشدٍ وغيرهما من فلاسفةِ العرب لم يكونوا سوى مشّائيِنَ. فالواقعُ يؤيدُ رفض

هذا الزعمَ. لأنَّ فلاسفةَ العرب لم يقفوا عند تعليم أرسطو كما تلقوْهُ، بـلْ طَوَّروهُ باتجاهِ فلسفةٍ عربيةٍ إسلاميةٍ.

إنَّ هـذه الأمثلةَ علـى الاتجاه الأساسيِّ في دراسـاتِ الماركسيـينَ للفلسفـةِ العربيةِ الإسلاميةِ لها أشباهُها الكثيرةُ لدى العلماءِ والمستشرقينَ الماركسيينَ في أوروبة، رغم ما نجـدُ منْ اختلافاتٍ بينهـم في الاجتهادِ أو الرؤيـةِ أو أسلوبِ المعالجةِ أو منْ تفاوتٍ في درجةِ الاطلاعِ على المصـادرِ الأصليةِ لهذه الفلسفةِ أو في مستـوى استيعابِ النصوصِ والنفاذ إلى دلالاتِها.

وبشـكلٍ عـامٍّ فقـدِ اهتمـتْ دراساتُ المستشرقـينَ الروسِ والماركسيـينَ للفلسفة العربيـةِ الإسلامية بإبرازِ الـدورِ التقدميِّ الـذي كان يؤديـه المفكـرونَ والفلاسفـةُ المسلمونَ في مجال تطوير الثقافة المعبرةِ عن النهوض الماديِّ والروحـيِّ للقوى التقدمية الطبقيةِ في المجتمع العربيِّ- الإسلاميِّ زمنَ الخلافةِ العباسيـة، ونذكرُ في طليعةِ هؤلاء يعقـوبَ فسكي، وصدرَ الدين عيني الرئيسَ السابـقَ لأكاديميـةِ العلـوم في طاجكستان السوفييتية، وغفورف رئيسَ معهدِ الاستشراق (معهد آسيـا وأفريقيا سابقـاً) في موسكو وكراتشكوفسكـي، وبارتولـد، وكريمسكي، وغينزبورغ. إن هذهِ الدراساتِ تتميزُ- عدا ذلـك - بأنَّها تصدرُ عن تفسـيراتٍ علميةٍ للفكـرِ التراثيِّ العربي الإسلاميِّ. وبمناسبةِ الذكرى المئة للمستشرقِ الروسيِّ «غولتسيير» ظهرتْ في موسكـو دراسةٌ مهمةٌ له في هذا المجـال ضمْنَ مجموعةِ مؤلفاتـه. وفي سنةِ ١٩٣٩م صدر في الاتحـادِ السوفييتي كتابُ «تاريخ الفلسفة» يتضمنُ بحوثاً عن الفلسفة العربيـةِ- الإسلاميـة تنطلقُ مـن مواقف ماديـةٍ، وهناك كتـابٌ آخرُ باسـم «تاريخ الفلسفة» بستةِ مجلـداتٍ أصدرتْهُ أكاديميةُ العلوم الفلسفيةِ السوفييتيةِ وفيه دراسةٌ عن تاريخ تطور الفلسفـةِ العربيةِ- الإسلاميةِ.

وفي السنـوات الأخيرة اتجهـتِ الدراساتُ الاستشراقيةُ السوفييتيةُ إلى البحثِ المباشرِ في قضايا هذه الفلسفةِ بنوعٍ من التخصص، فضلاً عـن الدراساتِ الجامعيةِ للتخرج في الفلسفـةِ أمثال دراسة أ.ســ ايفانوف عن «تعليـم الفارابي حـول قابليـات الإنسان المعرفية». ومن الدراساتِ المتخصصة بهذا الشـأنِ صـدرَ تعليقٌ على رسالـةِ الفارابي «ما يجـبُ أن يسبـق دراسـةَ الفلسفةِ» في كتاب «الرسائـلِ الفلسفيةِ للفارابي» (صدر في ألمـا - أتا، قازخستـان ١٩٧٠) و«نظرية المعرفـة للفارابي» (قسم العلوم الاجتماعية في أكاديمية العلـوم القازاخستانية ١٩٧١) و«الفارابـي في علـمِ التاريـخ» (ألمـا - أتا

١٩٧١)، و«بعض مسائل التراث الفلسفي للفارابي» (في كتاب «الفارابي عالمٌ عظيمٌ ذو معارفَ موسوعيةِ»)، وفي طشقند (عاصمة أوزبكستان) صدرتْ عدةُ بحوثٍ عن جوانب مختلفة من فلسفةِ ابن سينا، وصدرَ بالروسية كتابٌ بعنوان «آثارُ الفكر العربيِّ» يحتوي نصوصاً فلسفيةً وتعليقاتٍ عليها، وفي موسكو ظهرَ في خمسينات القرنِ الماضي مؤلَفانِ للباحث الفلسفيِّ الأكاديميِّ أ. سعد بيف، أحدُهما عن ابن سينا والآخرُ عن ابنِ رشدٍ.

وفي بعضِ المؤلفاتِ السوفييتيةِ السابقة تبرزُ المواقفُ المعاديةُ لنظريةِ المركزيةِ الأوروبيةِ في الفلسفة والمؤيدة لفكرةِ وحدة الفلسفةِ العالمية منْ جهةٍ وتمايزِ الفلسفاتِ المحليةِ بخصائصَ مرتبطةٍ بالخصائص التاريخيةِ القوميةِ من جهةٍ أخرى.

وقد أُنشئتْ في روسيا وفي دولِ الاتحاد السوفييتيِّ السابق مراكزُ هامةٌ وكراسيٌّ في الجامعاتِ لدراسةِ التراثِ العربي الإسلاميِّ كما صدرَتْ عدةُ مجلاتٍ ودورياتٍ اهتمتْ في المجالِ نفسه منْها:

١ - كراسيّ اللغاتِ الشرقيةِ:

لم يُصبح الاستشراقُ علماً قائماً بذاته إلا بعد تطبيقِ النظام الجامعيِّ في روسيا سنةَ ١٨٠٤م الذي أدرجَ اللغاتِ الساميةَ: العربيةَ والفارسيةَ والتركيةَ والمغوليةَ وغيرَها في مناهجِ المعاهدِ العليا، والجامعاتِ. من هذه الجامعاتِ:

- جامعةُ خاركوف (١٨٠٤):

أولُ جامعةٍ أخذتْ بتدريسِ العربيةِ، وعينتْ أولَ أستاذٍ لها راعي الكنيسةِ المحليةِ بيريندت، ومنذُ ذلك الحينِ والدراساتُ العربيةُ تنقطع فيها تارةً وتُستأنَفُ تارةً أخرى، ومنْ كبارِ المستشرقينَ الذين أشرفوا عليها «دورن»، الذي استدعاهُ القيصرُ من ألمانيا. ثم «كريمسكي» الذي دَرَّس بعدَ الثورة البلشفيةِ حتى تُوفيَ أثناء احتلالِ ألمانيا لأوكرانيا (١٩٤١م)، ثم خلفَهُ تلميذُهُ «أتب كوفالفسكي».

- جامعةُ قازان (١٨٠٤م):

بدأتْ تدريسَ العربيةِ سنة ١٨٠٧م عندما استدعى القيصرُ المستشرقَ الألمانيَ «فران»، وعَهِدَ إليه بقسمِ اللغاتِ الساميةِ، ثم خلفَهُ «أردمان»، فاقترَحَ على مجلسِ الجامعة إنشاءَ كرسيَّيْنِ أحدُهُما للعربيةِ والآخرُ للفارسية، ثم أُضيفَ إليهما التركيةُ والصينية والمغوليةُ والأرمنيةُ. دَرَّسَ العربيةَ «خولمو جوروف»، وتولى «جوتفالد» سنةَ ١٨٤٩م تدريسَ التراثِ الفكريِّ العربيِّ، و«سابلوكوف» تعليمَ العربيةِ في الفصلِ الأعلى بعدَ إلغاءِ اللغاتِ الشرقيةِ في جامعةِ قازانَ، وكان «كوفالفيسكي»

عميداً للقسم الشرقيِّ فيها، ثم أصبح رئيساً للجامعة على أثر إنشاء كلية اللغات الشرقية في جامعة بطرسبرج سنة ١٨٥٥م، ثم استؤنف تعليمُ العربية في جامعة قازانَ على يد «خولمرجوروف» وانقطعَ مرةً ثانيةً ليتجددَ على يد «كريمسكى»، ثم استمرَّ حتى عام ١٩٢٣م. وتُدرَّسُ فيها اليومَ اللغةُ العربيةُ وآدابها.

وانتقلت العربيةُ من جامعة قازانَ خلالَ الفصلِ الأعلى- إلى معهد الرهبانِ الأرثوذكس بقازانَ، فاتخذَتْ دراساتُها لوناً جديداً في مقابلة القرآن بالإنجيل. ومن أساتذتها فيه: كاظمُ ميرزابك، وإيلمنسكي (١٨٤٦م) وسابلوكوف (١٨٦٢م) وبندلى جوزى.

- جامعة موسكو (١٧٥٥م):

أُنشئَ فيها معهدُ الألسنية سنة ١٨١١م، فوجَّهَ عنايتهُ إلى اللغاتِ الشرقية والأدب العربيِّ. ومن ألمعِ أساتذته «بولديريف» الذي صنَّفَ عدةَ مؤلفاتٍ مدرسية، وترجَمَ منتخباتٍ عربيةٍ، حتى إذا ولي رئاسةَ الجامعةِ جعلَ الدراساتِ العربيةَ تزدهرُ في المعهدِ ازدهاراً فريداً.

- كليةُ لازاريف (١٨١٥م):

أنشأتها في موسكو عائلةُ دي لازاريف، وهي من أشرافِ الأرمن الذين حملهُمُ الاضطهادُ على الرحيلِ إلى روسيا حيثُ اتصلوا ببلاطها، وشملتهم رعايةُ قياصرتها، ولما توفي الكونت كبيرهُم خلَّف أولاداً وثروة أنشأوا منها مدرسةً لتعليم أبناء الأرمن لغتهم، فطارتْ شهرتُها حتى بلغتْ تركيا وإيرانَ والهند. وفي عام ١٨٣٧م أُنشئَ فيها قسمٌ للعلوم الدينية بسعي البطريرك الأرمنيِّ، ثم أُضيفَ إليها قسمٌ تجاريٌّ، وقسمُ الحقوقِ ثم انحصرَتْ رسالتها في إعدادِ الموظفينَ والتراجمةِ للشرق الأدنى. وكانَتْ تُدرسُ الأرمنيةَ والعربيةَ والقوقازيةَ، وقدْ نُقلَ كرسيُّ اللغةِ العربية من جامعةِ موسكو إليها. وكان أولَ أستاذٍ للعربيةِ فيها اللواءُ جرجسُ مرقص الدمشقيُّ، ثم خلفهُ ميخائيلُ يوسفُ عطايا، وكريمسكي الذي درَّسَ فيها العربيةَ لغةً وأدباً.

٢- الآدابُ العربيةُ:

أما في روسيا فقدْ خرجَ نطاقُ الشرقِ من الجامعاتِ والمكتبات والمتاحفِ إلى الأدباءِ والمجلاتِ الأدبيةِ ودوائرِ المعارف والعلماء: فألَّفَ تولستوى -وكان قد درسَ الإسلامَ في مصنفاتِ كريمسكى وأثنى على ترجمته لألفِ ليلةٍ وليلة- «حُكم النبي محمد» (نقلهُ إلى العربيةِ الأستاذُ سليمُ قبعين- الطبعة الثانية، مصر ١٩٢٤). وأصدرتْ مجلة أوجنى (النيران) بمساعي كوندو روشكين، الذي طَوَّفَ في بلادِ الشرقِ، مجلداً في آداب

اللغةِ العربيــة الحديثةِ، ونقداً لترجمةِ ألفِ ليلةٍ وليلة. واقترحَ مكسيمُ جوركي- وكان قد درسَ الإسلامَ أيضاً في مصنفاتِ كريمسكي على أيــدي مستشرقي بترو جــراد- إنشاءَ فــرعٍ شرقــيٍّ في دار الآدابِ العالمية، وكانَ مستشرقــو بتروغــراد قد أنشــأوا الرابطةَ الشرقيةَ بالتعــاونِ مــع مستشرقي موسكو وغيرها وذلك سنةَ ١٩١٩م، وقد نُشرَ في دارِ الآدابِ العالميــة مِــنَ الأدبِ العربيِّ «حكمةُ حيكار» بترجمــة كوزمين، و«حكاياتُ لقمانَ الحكيم» بترجمةِ ساله، ثم «حي ابن يقظان»، و«ذكرياتُ أسامةَ بنِ منقذ».

ونشَرَ المستشرقــونَ في مجلة الشرقِ سنةَ ١٩٢٢ — ٢٤م وهــي المجلــةُ الدوريــةُ لدارِ الآدابِ العالميةِ قصيدتَــيْنِ لأمينِ الريحاني ومختاراتٍ من المتنبــي، وابنِ ياسر وعلي بن الجهم، وألغازِ أبي محمد الكاتب ورباعيتين لأحمدَ بــنِ رضا الملقي، وإحــدى مقاماتِ الشيخ ناصيــفِ اليازجي، ولاميةِ الشنفرى، وابنِ حَمْديس.

ونشَرَ «بليايف» مقاطعَ منْ تاريخِ الطبري في المجموعات الشرقية سنةَ ١٩٢٤م، وترجمَ «كريمسكي» ألفَ ليلــةٍ وليلةٍ، وكتبَ مكسيمُ جوركي مقــالاً للمجلدِ الأولِ قــالَ فيه: إن حكاياتِ شهرزادَ هــي أضخمُ أثرٍ من الآثارِ الرائعة للأدبِ الشعبــيِّ غير المدونِ، وألفَتْ «كلثومُ نصرُ عــودة فاسيليفــا» «المنتخباتِ العصريةَ لدرسِ الآدابِ العربيــة منْ سنةَ ١٨٨٠ إلى ١٩٢٥م»، تضمنَــتْ دراسةً لكتبِ أديبِ اسحــق، والكواكبي، وجورجي زيدان، وأمــينِ الريحــاني، وجبران خليــل جبران، وميخائيل نُعيمة ونُشــرَتْ في لينينجراد سنة ١٩٢٨م، ونُشرتِ الطبعةُ الثانيةُ سنة ١٩٤٥م، وظهــرَ في الطبعة الثالثة الممتــدةِ منْ سنةِ ١٨٨٠ إلى ١٩٤٧م إضافــاتٌ شملَــتْ: طــه حسين، وتوفيقَ الحكيــم، وإبراهيمَ المازني، وذا النــون أيــوب، وغيرَهــم (١٩٤٩م)، ثم ألَّفتْ مختاراتٌ للقراءةِ في البيتِ من كتّابها: الشرقــاويُّ، والخميسيُّ، ويوســفُ إدريس، ومواهبُ الكيــالي، ومحمد دكروبُ، ووصفيُّ البني.

وقدْ صــدرَ للأدباءِ العــربِ ١٢٤ كتاباً يناهزُ عددَ نسخهــا خمسةَ ملايينَ ونصفِ المليــون نسخةً، في ٣٠ لغةً من لغاتِ الاتحادِ السوفييتــيِّ تضمنَــتْ أقاصيصَ للكتّابِ العرب: تيمــور، والخميسي والشرقاوي منْ مصــرَ. ومواهب الكيالي من سورية، ومحمد إبراهيم دكروب من لبنان. وذي النون أيوب وأحمد السيد من العراق. وفي النثرِ العربيِّ مؤلفــاتٌ لبعض مَــنْ تقــدمَ في المجموعة الأولى ثــم لولــي الديــن يكن، وجبران خليل جبــران، وأمين الريحاني وغيرهــم وذلك

سنة ١٩٥٦، وكذلك القصص المصرية لعيسى عبيد، ويوسف جوهر، ومحمد البدوي، ومحمود لاشين، وسواهم، وثماني قصص لمحمود تيمور، و١٩ قصةً مصريةً، وأقاصيص لكتّابٍ من لُبنانَ وأقاصيصَ لكتّابٍ سوريينَ، وعجائبِ الهند لبزركَ بن شهريار.

ومن القِصَصِ: «كهانُ الهيكل» للدكتور جورج حنا اللبناني، و«المصابيحُ الزرق» لحنا مينه السوريِّ، و«مذكراتُ نائبٍ في الأريافِ» لتوفيق الحكيم، ثم أقاصيصُ عربيةٌ مترجمةٌ إلى الأذربيجانية، وقصصٌ مصريةٌ، و«ما تراهُ العين» لمحمود تيمور، و«الأعيانُ» لميخائيل نعيمة، و«دعاء الكروان» لطه حسين.

وفي الشعر: قصائدُ لشعراءِ مصرَ، وعددُهم ٤٩ شاعراً، وشعراءِ آسيا، والشعرُ العربيُّ الحديث، وبوشر بترجمةِ أرضِ النفاق ليوسف سباعي، وغصنِ الزيتونِ لعبد الحليم عبد الله، والغربة الأخيرةِ لمحمود بدوي، وزقاقِ المدق لنجيب محفوظ، ودماءٍ من طين ليحيى حقي، وأبي الريش وجنينةِ ناميش ليوسف سباعي، وتاريخ الأدبِ العربيِّ لحنا الفاخوري.

يُضافُ إلى الترجماتِ ما ظهرَ في روسيا بالعربيةِ من مؤلفات الفارابي وابنِ سينا وابنِ رشد، والبيروني، وغيرهم. وما قامَتْ به جامعاتُها من تحقيقِ الكتبِ العربيةِ وترجمتها ونشرِها، وفهرسةِ المخطوطاتِ وحفظِ الآثار.

وعَقَدَت روسيا في لينينجراد مؤتمراً للمستشرقينَ السوفييتِ سنةَ ١٩٣٥م، وقد حاضرَ فيه كراتشكوفسكي عَنْ تاريخ الأدبِ العربيِّ ورسالتِهِ في الاتحادِ السوفييتيّ، وياكوبوفسكي عن العراقِ في القرنَيْنِ الثامنَ عشرَ والتاسعَ عشرَ، ولوتسكي عن الثورةِ الوطنيةِ السوريةِ (١٩٢٥-٢٧م)، وبوريسوف عن بعض مخطوطاتِ المعتزلةِ المكتشفةِ في لينينجراد. وخصَّتِ المؤتمرَ الثاني الذي عُقِدَ سنة ١٩٣٧م بابنِ سينا، ونظمّتْ حلقتينِ للمستعربينَ السوفييت في طشقندَ سنة ١٩٥٧-١٩٥٨م. ودعا معهدُ الاستشراق التابع لمجمع العلوم السوفيتية إلى مؤتمر المستعربين في لينينجراد سنة ١٩٥٩م حيث أُلقِيَتْ فيه خمسٌ وسبعونَ محاضرةً، منها عشرونَ عن اللغة والأدبِ العربيِّ، وانعقدَ في موسكو سنةَ ١٩٦٠م مؤتمرُ المستشرقينَ الدوليُّ الخامسُ والعشرونَ، وقد اشتركَ فيه ١٥٠٠عالم من ٦٠ دولة، وألقي في جلساتَ فرعَي الاستعرابِ- تاريخُ البلدانِ العربيةِ، واللغةِ والآداب العربيةِ- سبعونَ بحثاً لعلماءِ آسيا وأفريقيا وأوروبة وأمريكا.

ويُعنى المستشرقونَ السوفييتُ اليومَ بنشرِ مئات المصنفات العربية في طليعتِها تواليفُ

الجبرتـي، وكتـابُ الفوائـدِ في معرفةِ علم البحرِ والقواعدِ لأحمد بن ماجد، ومقدمة ابـنِ خلـدون، والبخلاء للجاحـظ، وكتاب الأخبـارِ الطوال للدينـوري، وكليلة ودمنة، وطوقِ الحمامة، وكتابِ الاعتبارِ لأسامةَ بن منقذ... وغيرهم.

٣- المكتبات الشرقية:

المكتبـةُ الإمبراطوريـةُ العامـةُ: صَنَّفَ «دورن» فهرسَ مخطوطاتِهـا الشرقية سنةَ ١٨٥٢م، وتحتوي اليومَ على ٢٠ مجلداً بينها مخطوطاتٌ شرقيـةٌ نفيسةٌ، وبجانب جامعةِ لينينجرادَ يقعُ بناءُ المُتحـفِ الآسيويِّ التابعِ لمجمعِ العلوم، وتحتـوي مكتبتهُ على عشرةِ ملايـينِ مجلدٍ، ويضمُ القسمُ الرابعُ من هذا البناءِ الكتـبَ العربيـةَ والفارسية والتركيةَ والتتريـةَ. ويبلـغُ عددُ مخطوطاتِـهِ حوالي ٨٠٠٠٠ مخطوطٍ ولـوحٍ، وعددُ المخطوطاتِ الإسلاميـة في الفارسيـةِ والتركية والتترية والأفغانيـةِ ١٢٠٠٠ بينهـا ٥٠٠٠ مخطوطٍ عربيٍّ.

إن القسـمَ العربيَّ أُنشئَ برعايةِ «فرّان» سنةَ ١٨١٨م، وفيـه مجموعاتُ المخطوطاتِ التي اشتُرِيَتْ من مكتباتِ: روسو، وشميدت، وفـرّان، وبروسـو، وشيجريـن، ومجموعةُ مخطوطـاتٍ أهداهـا خانيكـوف لمكتبـةِ بطرسـبرج مِنْ بينها: كتابُ الخازني، وتاريخُ الخلافةِ للصولي، ونسخةٌ من القرآنِ الكريم بخطٍّ كـوفيٍّ في صندوقٍ مـن الزجاج يُقال إنها نسخـةُ الخليفةِ عثمـانَ وعليها قطرةٌ مِنْ دمه، وقـدْ طلب المسلمون أيـام الثورةِ البلشفيةِ نقلهـا، فأجابتْهمُ الحكومةُ المؤقتةُ آنـذاك إلى طلبهم، ونُقِلَـتْ باحتفالٍ مهيبٍ إلى مدينـةِ أوفا مركز الفتـوى الإسلامية. وفي القسم العربـيِّ أيضاً مخطوطاتٌ نادرةٌ للبيروني، وأسامةَ بن منقذ، والحريري، وابن قزمان، وأحمدَ بن ماجد.

وقدْ فَهْرَسَ «فران»: مجموعةَ المخطوطات الشرقيـة فيه (ومازال غيرَ مطبوع)، وصنَّفَ «دورن» فَهْرَسَ الكتبِ العربيـةِ والفارسية والتركيـة، وصنَّـفَ «فون روزيـن»: فهرس المخطوطاتِ العربية والفارسية في بطرسبرج وبولونيا في أربعةِ مجلداتٍ، وبمعاونة «زالمان» فَهْرَسَ المخطوطـات الفارسيـة والتركية والتتريـة والعربيـة في جامعـةِ بطرسبرج، وصنَّفَ «زالمان» في نشرةِ المجمعَ الإمبراطوري فهارس للمخطوطاتِ والكتب الفارسية التي اقتناها «دسينكي»، وللمخطوطاتِ الفارسية في مجموعةِ «بوجدانوف»، ومقتنياتِ المُتحَفِ الآسيـويِّ الجديـدة، والمخطوطـاتِ التي اقتناهـا المتحفُ ومخطوطات كتـابِ الآثار الباقيةِ للبيروني.

وضُـمَّ إلى المتحفِ الآسيـويِّ بعد الثورة

البلشفيةِ مخطوطاتُ مدرسةِ الألسنِ الشرقيةِ التابعةِ لوزارة الخارجيةِ في لينيجراد، فصنَّفَ كراتشكوفسكي في نشرةِ مجمعِ العلوم: فهرسَ المخطوطات العربيةِ في القوقاز، ومجموعةَ مخطوطاتٍ منَ القرآنِ لأوزبنزكي، ومخطوطاتِ البارون فون روزين في مكتبةِ المتحفِ الآسيويِّ، وفَهْرَسَ مخطوطاتِ النصارى في مكتباتِ لينغراد.

وضُمَّ إلى المتحفِ الآسيويِّ مجموعةُ المخطوطاتِ العربية في القصرِ الإمبراطوري، وكانت هديةً من البطريرك غريغوريوس الرابعِ يومَ زارَ روسيا سنة ١٩١٣م، فصنَّفَ كراتشكوفسكي لها فهرساً بالروسيةِ سنة ١٩١٧-٢٤م، وفهرساً للمخطوطات الشرقيةِ في قصر كاترينَ الثانيةِ.

ومن المفهرسين:

- ف. إيفانوف: فَهْرَسَ المخطوطاتِ الإسماعيليةِ في المتحفِ الآسيويِّ سنة ١٩١٧م.

- برتلس: وَصَفَ مخطوطاتِ مجموعة باسيليفسكي التي اقتناها المتحفُ الآسيويُّ عام ١٨٢٤م، ووصفَ مجموعةَ مخطوطاتٍ فارسيةٍ في المتحفِ الآسيوي.

- ي.ن.مار: وَضَع فهرساً وصفياً للأواني الفنيةِ في المتحف الآسيوي.

وفي مكتباتِ لينيجراد الأخرى ٧٠٠٠ مخطوطٍ عربيٍّ اهتم بها وفهرسها كلٌّ مِنْ:

- أ.أ. روما سكيفيتش: فَهْرَسَ المخطوطاتِ الفارسيةَ والتركيةَ والعربية في كليةِ لينيجراد سنةَ ١٩٢٥م.

- بيجوليفسكايا: فَهْرَسَ المخطوطات اليونانيةَ السريانيةَ العربيةَ.

- فيكتور بليايف، وبولجاكوف: فَهْرَسَا المخطوطاتِ الموجودة في مكتبةِ لينيجرادَ سنة ١٩٥٥م، ووضعا دراسةً لمخطوطاتِ جامعةِ لينيجراد سنة ١٩٥٨م.

- جوتفالد: وصف ٤٧٨ مخطوطاً من مخطوطاتِ جامعةِ قازان بعناوينها وأسماء مؤلفيها في جزأين: الأولِ بمعاونةِ دورن، والثاني بمجهودهِ الفرديِّ ونشرهُما في قازان سنةَ ١٨٥٤-٥٥م، وقد وقفَ عليها مكتبتهُ الخاصةَ.

- أردمان: وصفَ النقودَ الشرقية في قازان، في مجلدَيْنِ نشرهُما في قازان سنة ١٨٣٦م.

- كراتشكوفسكي: نشرَ في تقاريرِ مجمع العلوم: مجموعة مخطوطاتٍ عربيةٍ من قازان وذلك سنة ١٩٢٤م.

- فون روزين وزالمان: صنَّفا في جامعةِ بطرسبرجَ فهرس المخطوطاتِ الفارسية والتركية والتترية والعربية فيها.

- وفي المعهدِ الشرقيِّ التابعِ لمجمع

العلوم صنفَ فيكتور بلياييف فهرسَ أحسنِ المخطوطاتِ ونشرَهُ سنة ١٩٥٣م.

وللمكتباتِ العامة والخاصةِ ومعاهد العلمِ فهارسُ صنفَها المستشرقون:

- ف. ي أوزبنزكي: صنف مخطوطاتِ مكتبةِ طرابزون ونشرَها في مجلة مجمعِ العلوم سنة ١٩١٧م.

- ف. جورد ليفسكي: صنفَ مخطوطاتِ المتحفِ الشرقيِّ في مدينةِ يالطا ونشرَ الفهرسَ في تقاريرِ مجمعِ العلوم ١٩٢٧م.

- أ.أ. سيمينوف: وَصَفَ المخطوطاتِ الإسماعيليةَ في مكتبتهِ الخاصةِ وذلك سنةَ ١٩١٨م، والمخطوطاتِ المزخرفةَ في مكتبةِ بخارى المركزية، ووضعَ فهرساً وصفياً للمخطوطاتِ الفارسيةِ والعربية والتركية في مكتبةِ طشقندَ، وتضمُ ٨٠ ألفَ مؤلفٍ نشرَهُ في طشقندَ سنةَ ١٨٣٥م، ووصفَ المخطوطاتِ الشرقيةَ في مكتبةِ جامعةِ آسيا الوسطى سنةَ ١٩٣٥م، والمخطوطاتِ الشرقيةَ لأوزبكستان سنة ١٩٤٥م، وفَهْرَسَ مجموعةَ المخطوطاتِ الشرقيةِ في مجمعِ علوم جمهوريةِ أوزبكستان في مجلديْنِ نشرَهُ في طشقند سنةَ ١٩٥٣-٥٤م، ومجموعاتِ مخطوطاتِ آسيا الوسطى وأهمية دراستِها قدمها ضمنَ أعمالِ مؤتمر المستعربينِ السوفييتِ في طشقند سنةَ ١٩٥٧م.

وبإشرافهِ: تمَ وصفُ المخطوطاتِ الشرقيةِ في المعهدِ الشرقيِّ الأوزبكيِّ، فتناولَ ٢٧٠٠ مخطوطٍ في أربعةِ مجلدات.

- ا. شميدت: فَهرَسَ المخطوطاتِ العربيةَ في مكتبةِ طشقند سنة ١٩٣٧م.

- بارتولد: وضعَ فهرساً للمخطوطاتِ الشرقيةِ في باكو نشرَهُ مجمعُ العلومِ سنة ١٩٢٥-٢٦م، وأشرفَ على حلقاتٍ دراسيةٍ في المتاحفِ والمكتباتِ التركستانيةِ سنةَ ١٩٢٦م.

- فيكتور بلياييف: فَهرَسَ المخطوطاتِ العربيةَ في بخارى سنة ١٩٣٢م، ومخطوطاتٍ يمنيةً في طشقند ونشرها ضمنَ الأبحاثِ الشرقية السوفييتيةِ سنة ١٩٤٧م.

- أ.ب. كوفالفسكي: وَصَفَ المخطوطاتِ الشرقيةَ في جامعةِ خاركوف ضمنَ أعمالِ المكتبةِ الشرقيةِ سنةَ ١٩٣٤م.

- خاليدوف: فَهرَسَ المخطوطاتِ العربيةَ في معهد شعوبِ آسيا، وتضمنَ المجلدُ الأولُ النثرَ الفنيَّ ونشرَهُ سنة ١٩٦٠م.

٤- المطابع الشرقية:

من منشوراتِ مطبعةِ قازان: ناظورةُ الحقِّ للشيخ المرجاني (١٢٨٧ هـ)، ومنتخبُ الوفيه (١٢٩٧ هـ)، وخزانةُ الحواشي للشيخ المرجاني (١٣٠٧هـ)، والكفايةُ في شرحِ الهدايةِ لجلال الدين الخوارزمي (١٣٠٤هـ)،

وعقيدةُ الطحاوي (١٣١١هـ)، وأخلصُ الخالصة للبدخشاني (١٨٥١م)، ومختصرُ القدوري (١٨٨٠-١٩٠٩)، وتنقيحُ الأصول لصدرِ الشريعة الأصغر (١٨٨٣)، وشرحُ الرضى على كافية ابنِ الحاجب (١٨٨٥)، وزبدةُ الأسرارِ للزيلي (١٨٨٧)، وحاشيةُ ميرزاد على شرحِ جلال الدين الدواني (١٨٨٨)، ومنيةُ المصلي للكاشغري (١٨٨٩)، وشرحُ السراجية للجرجاني (١٨٨٩)، ومختصرُ المقالِ للقرشوي (١٨٩٠)، والفوائدُ الضيائية للجامي (١٨٩٠)، والشرحُ الكافي في علميّ العَروضِ والقوافي للدمنهوري (١٨٩٥)، وكتابُ أنوارِ العليةِ للميرزالاوي (١٨٩٦)، والنموذجُ للزمخشري (١٨٩٧)، ثم مختصرُ الوقاية لصدر الشريعةِ الأصغر (١٩٠٢)- وكان قد طُبِعَ في بطرسبرج سنةَ ١٨٩٥م، ومشكاةُ المصابيحِ للتبريزي في جزأين (١٩٠٩م)، والموافقاتُ للشاطبي (١٩٠٩م)، وديوانُ طرفةَ بنِ العبدِ (١٩٠٩م). ولابنِ النقيب الطنطاوي: مختصرُ الحاوي (١٨٩٩م)، ومصباحُ الحواشي (١٨٩٩م)، وإصباحُ المصباحِ (١٩٠٢م)، وميزانُ الحواشي (١٩٠٢م).

ومنْ منشوراتِ مطبعةِ بطرسبرج: لاميةُ الأفعالِ لابنِ مالك (١٨٦٤م)، ونخبةُ الدهرِ في عجائبِ البرِّ والبحرِ لشمس الدين الدمشقيِّ الصوفيِّ (١٨٦٦م)، والجزءُ الأولُ من صحيح البخاري (١٨٧٦م)، ومشكاةُ المصابيحِ للتبريزي في جزأين (١٨٩٩م)، وهو اللَّه لعبدِ البهاء، وقد نشرَ بعنوان رسائلُ الشيخ البابي بهاء الدين (١٩٠٨م).. الخ.

٥- المتاحف الشرقية:

- مُتحَفُ الأرميتاج في لينتجراد، وفيه قسمٌ لفنونِ الشرقِ القديم، وقد عَنى فاسمير (١٨٨٨-١٩٣٨م) وتلميذُهُ بيكوف (المولودُ سنة ١٨٩٦م) بنشرِ الدراساتِ عما فيه من النقودِ ذاتِ الكتاباتِ العربيةِ جُمِعَتْ في أبحاثِ قسمِ النقودِ لمتحفِ الأرميتاج ونُشِرَتْ في موسكو سنة ١٩٤٥م.

- مُتحفُ معهد علمِ الشعوبِ بلينتجراد: تأسسَ سنة ١٨٧٨م، وفيه قسمٌ خاصٌ بالشرقِ العربيِّ.

- متحف بوشكين للفنونِ الجميلةِ بموسكو، وفيه مركزُ دراساتٍ أنشأهُ تواربيف سنةَ ١٩١٢م لحضاراتِ سورية القديمةِ وبلاد الرافدينِ ومصر الفرعونية والقبطية.

- متحفُ الحضاراتِ الشرقيةِ تأسسَ في موسكو سنة ١٩١٨م.

٦- المجلات الشرقية:

- الرسائلُ: ZVO أنشأها البارونُ فيكتور روزين عن الجمعيةِ الشرقية في

بطرسبرجَ سنةَ ١٨٨٦ م فكانَتْ أولَ مجلةٍ استشراقيةٍ علميةٍ باللغةِ الروسيةِ.

- المجاميعُ الفلسطينيةُ :Palestinski Sbornik تأسستْ سنةَ ١٨١٩م.

- المجاميعُ الشرقيةُ – Vostotchniy Sbornik

- الحولياتُ الشرقيةُ: الصادرةُ عن قسمِ الآثارِ الروسيةِ صدر مجلدُها الرابعُ والعشرونَ سنة ١٩١٧م، والخامسُ والعشرونَ سنةَ ١٩٢١م، ثم أُطلِقَ عليها اسمُ حولياتِ المعهدِ الشرقيِّ التابعِ للمتحفِ الآسيويِّ Zkv Priamaran، فأصدرتْ خمسةَ مجلداتٍ بين سنتي ١٩٢٥-٣٠م، ثم تحولَتْ إلى حولياتِ المعهد الشرقيِّ التابعِ لمجمعِ العلوم Zivan فأصدرت سبعةَ مجلداتٍ بين سنتي ١٩٣٢-٣٩م، ثم صدرتْ باسم الأبحاثِ الشرقية السوفيتيةِ Sovetskoye Vostokovedeniye سنة ١٩٤٠م. وكان لمجمعِ العلومِ نشرةٌ باسم الأخبارِ Isvestiya، وتقريرُ مجمعِ العلوم.

- مجلةُ الأزمنةُ البيزنطيةُ Vizantinsky vremennik: تأسست سنة ١٩٠٠م.

- عالَمُ الإسلام Mir Islama: تأسست سنة ١٩١٢م.

- النيران Ogni: صدرتْ بعدَ ثورةِ تشرين/أكتوبر سنة ١٩١٨م، ودعمَها كوندوروشكين.

- الآدابُ العالميةُ Vsyomirnaya Literatura: أنشأها مكسيم جوركي، ونَشَرَتْ بين عامي ١٩١٩-١٩٢٥م الوافرَ من الترجماتِ الشرقيةِ.

- الشرقُ الجديدNovy Vostok: تأسستْ سنة ١٩٢٢م وهي شهريةٌ، أنشأتْها جمعيةُ المستشرقين الروسيةُ.

- الشرقُ Vostok: تأسستْ سنة ١٩٢٢م وتعنى بالفنونِ الشرقيةِ، وتُترجِمُ الروائعَ من لغاتِ الشرق.

- التاريخُ الماركسيُّ IM: تأسستْ سنةَ ١٩٢٦م.

- إيران: Iran تأسستْ سنة ١٩٢٧م.

- العالَمُ الشرقيُّ –skhidni svik

- المكتبةُ الشرقيةُ Bibliografiya Vostoka: تأسستْ سنة ١٩٣٢م.

- الكتاباتُ الشرقيةُ Epigrafika Vostoka: أصدرتْها فيرا كوا تشكو فسكايا سنة ١٩٤٧م. وكبرى المجلاتِ الشرقيةِ اليوم: حولياتُ المعهدِ الشرقيِّ، وقضايا الاستشراق، والأبحاثُ الشرقيةُ السوفيتيةُ. ودوريات الجامعات والمعاهدِ في موسكو، ولينتجراد، وباكو وطشقند، وتفليس. ثم مجلات: علم الشعوب، وقضايا علم اللغاتِ والآداب الأجنبية، وغيرها.

٧- الأساتذة الشرقيون:

لقد عاودَ على تدريس العربية في معاهد روسيا وجامعاتها أربعةَ عشرَ أستاذاً شرقياً من أشهرهم:

الشيخُ محمد عياد الطنطاوي (١٨١٠-١٨٦١م): من مصرَ، تعلَّم وعلَّم في الأزهرِ إلى أن استدعاه القيصر سنة ١٨٤٠م للتعليم في مدرسةِ الألسن التابعة لوزارةِ الخارجية، ثم خلفَ سينكوفسكي على كرسيِّ العربية في جامعة بطرسبرجَ سنة ١٨٤٧- ٦١م.

آثارهُ: أحسنُ النُّخَبِ في معرفة لسان العرب نُشِرَ في ليبزيج سنة ١٨٤٨ وتحفةُ الأذكياء في أخبارِ بلاد روسيا نُشر سنة ١٨٥٠م.

كاظم ميرزابك (١٨٠٢-١٨٧٠م) عجميٌّ متنصر: درسَ العربيةَ في معهدِ الرهبانِ الأرثوذكس بقازان، وفي جامعة بطرسبرج.

آثاره: مفتاحُ كنوزِ القرآن نُشر في بطرسبرج سنة ١٨٥٩م والتحفةُ المفيدةُ في علم الأدبِ عند أهل العربِ نُشر في قازان سنة ١٤٢٩ هـ.

سليم نوفل (١٨٢٨ - ١٩٠٢م): من أهالي لبنانَ، انتُدِبَ للتدريس في جامعة بطرسبرج حيثُ تعلَّمَ الروسية، وعَملَ في وزارة الخارجية، وأصبح روسياً هو وأولادهُ وأحفادهُ.

آثاره: الزواج في الإسلام. والملكية في الإسلام، وبالفرنسية: السيرة النبوية.

اللواءُ جرجس مرقص (١٨٤٦ - ١٩١٢م): دمشقيٌّ وهو أولُ أستاذٍ للعربية في كلية لازاريف.

من أشهر المستشرقين:

١- البارون روزين، فيكتور (١٨٤٩-١٩٠٨م):

دَرَسَ اللغات السامية على جيرجاس وخوولسون من جامعةِ بطرسبرج، وفي عام ١٨٧٠م نال النوطَ الذهبيَ لأول بحثٍ له عن كتاب الشاهنامة لأبي القاسم الفردوسيِّ، ثم قصدَ ليبزيج في ألمانيا ليُتِمَ تحصيله على فلايشر، ولما رجعَ إلى بطرسبرج سنةَ ١٨٧٢م نال لقبَ دكتور وعُيِّنَ أستاذاً للعربية فيها، ورئيساً للقسم الشرقيِّ لجمعية الآثارِ سنة ١٨٨٥م، فأحالَها إلى جمعيةٍ شرقية، وأنشأ لها مجلةَ الرسائلِ، ورأسَ تحريرَها، فكانتْ أولَ مجلةٍ استشراقيةٍ علميةٍ بالروسيةِ، وعُيِّنَ عميداً للكليةِ الشرقية سنةَ ١٨٩٣-١٩٠٣م، فثقفَ علماء عديدينَ باللغاتِ العربية والعبريةِ والفارسية والتركيةِ والقوقازية والهنديةِ، وقدْ أهدى للمتحفِ الآسيويِّ مخطوطاته الشرقيةَ فصنَّفَ كراتشكوفسكي فهرساً لها.

آثاره: وافرةٌ، منوعةٌ، أصيلةٌ، من أشهرها: فهرسُ المخطوطاتِ العربيةِ والفارسيةِ في بطرسبرج وبولونيا في أربعةِ مجلداتٍ، وبمعاونة زالمان: فهرسُ المخطوطاتِ الفارسيةِ والتركيةِ والعربيةِ في جامعةِ بطرسبرج، ونشرَ تاريخَ يحيى بن سعيد الأنطاكي سنة ١٨٨٣م، وتاريخَ حبيب المنبجي سنة ١٨٨٤م وله: دراساتٌ حولَ مؤلفاتِهما لإثبات أهميتِهما في دراسةِ تاريخَ بيزنطةَ، ودراساتٌ عربية بترجمةٍ روسيةٍ. وقد اقتفى آثار فرّان في الأخذِ عن المصادر العربية للكشفِ عن تاريخ روسيا والسلافيين، فنشرَ بمعاونة كونيك متناً وترجمةً: «أخبارَ التاجرِ إبراهيمَ بنِ يعقوب الرحالةِ الأندلسي عن بلدان أوروبة الوسطى ومدنها»، كما ترجمَ إلى الروسيةِ جزءاً من ذَيْلِ ابنِ بطريق يحتوي على تاريخِ المَلِكِ باسل البلغاري نُشرَ في بطرسبرج سنة ١٨٨٣م، ووضعَ مقدمةً للطبعةِ الجديدةِ من رسالة ابنِ فضلانَ سنة ١٩٠٤م، وأسهمَ بنصيب كبيرٍ في دراسة شعرِ العربِ ونثرِهم، فصنفَ كتاباً عن الشعرِ العربيِّ القديمِ ونُقادِه، وآخر عن أبي نواس، وشاركَ في طبعِ تاريخِ ابنِ جريرِ الطبريِّ.

٢- بارتولد، ف.ف. (١٨٦٩-١٩٣٠م): تخرجَ من جامعة بطرسبرج سنة ١٨٩١م، وعُيِّنَ أستاذاً لتاريخِ الشرق الإسلاميِّ فيها سنةَ ١٩٠١م فكان أول من دَرَسَ تاريخَ آسيا الوسطى، وعُنيَ بالشرق الإسلاميِّ وحقق المصادرَ العربية المتعلقة به وبنظريةِ ابن خلدونَ في الحكم الإلهي والسلطةِ الدينيةِ في الدولة الإسلامية. وممنْ تخرجَ عليه: زيمين، وياكوبوفسكي، وأوميناكوف، فتابعوا خطاه، وواصلوا نشاطَهُ. انتخِبَ عضواً في مجمعِ العلوم الروسيِّ سنة ١٩١٢م ورئيساً دائماً للجنةِ المستشرقينَ فيه، من بعد الثورةِ البلشفيةِ حتى وفاتِه.

آثاره: تربو على أربعمئةِ عملٍ من أشهرها: تركستانُ عند غزو المغولِ لها، في مجلدَيْنِ، يضمُ الأولُ نصوصاً من المصادرِ العربية، والثاني دراساتٍ، نُشِرَ في بطرسبرج سنة ١٨٩٨-١٩٠٩م، وله أيضاً خليفةٌ وسلطانُ، وتاريخُ دراسةِ الشرقِ في أوروبة وروسيا، وحضارةُ الإسلام، والعالمُ الإسلاميُّ، وتاريخُ إيران، والدويلاتُ الفارسية، وحدودُ العالم، ومغول الهند، ودراسةٌ عن عُمَرَ ثاني الخلفاء الراشدين، وتاريخُ أتراكِ آسيا الوسطى.

ومن أبحاثِه في نشرةِ مجمعِ العلوم: المروانيون، والهلال عَلَمُ الإسلام، وأزمةٌ في الدّين الإسلامي في القرنِ العاشر.

وفي تقاريرِ مجمع العلوم: ابنُ المقفع، والصابئةُ والحنفيةُ.

وفي الشرقِ الجديدِ: عصرُ الأمويين في ضوءِ الاكتشافات الحديثة.

وفي الشرقِ: الصليبيةُ، وفي الحوليات الشرقيةِ: أبو مخنف، وفي حوليات المعهد الشرقيِّ التابع للمتحفِ الآسيوي: القرآنُ والبحرُ، وعلماءُ النهضةِ الإسلامية، ومصدرٌ جديدٌ لتاريخ تيمورلنك، معلوماتٌ عربية عن قدماءِ الروسِ، وفي الإسلام: الأوزاعيُّ، والعمارةُ الإسلامية، وفي غيرها: سفارةُ روما إلى بغدادَ في مطلع القرن العاشرِ، والبوذيةُ والإسلام.

٣- كراتشكوفسكي، اغناطيوس (١٨٨٣-١٩٥١)، نشأ في فيلنوسَ عاصمة ليتوانيا القديمةِ، وكان أبوه مديراً لمعهد المعلمينَ فيها، حيث أمضى معظمَ شبابه فيها. دخلَ المدرسةَ الإعدادية في فيلنا سنة ١٨٩٣م، وقرأ في مكتبتها تصانيفَ المستشرقين ولا سيما دي ساسي، ثم التحقَ بقسم اللغات الشرقيةِ في جامعة بطرسبرج، فأحسَّ بأنَّ العلمَ يستهويه، وأن الشرقَ يسحره، فانصرفَ إلى لغاته. وكانت الكليةُ الشرقيةُ بجامعة بطرسبرجَ في مطلعِ القرن العشرين مورداً للعلم ومستقراً لكبارِ العلماء من أمثالِ فون روزين، وبارتولد، وتورابيف، ومياد نيكوف وغيرهم، فأمضى في الكلية أربعَ سنوات في دراسةِ الفارسية والتركية والعبريةِ والحبشية القديمةِ على توارييف، وتاريخ الشرقِ الإسلامي على بارتولد، والعربيةِ على مياد نيكوف وروزين، وترددَ على أساتذةٍ لبنانيين هم، فضلُ الله صروف، ورزقُ الله حسون، وأنطون خشاب، وأنجزَ دراستهُ في رسالةٍ عن إدارةِ الخليفة المهدي نالَ عليها وساماً ذهبياً، وقد تأثرَ كراتشكوفسكي بعالِمَيْن تأثراً عميقاً بعيد المدى:

أحدُهما: فسيلوفسكي الذي طبعَ تاريخَ الآدابِ العام بطابعٍ خاصٍّ، فكشف مذهبَهُ عن الظواهرِ المتقابلةِ في التطور التاريخيِّ للأشكال الشعرية.

والثاني: فيكتور روزين الذي تولّى تحريرَ الحولياتِ الشرقية بقسم الآثارِ الروسية، وانتدبَ أستاذاً وعميداً للكلية الشرقية، فتوثقتْ عُرى الصداقةِ بينَ الأستاذِ والتلميذ حتى كانَتْ وفاةُ الأولِ مصيبةً فادحةً على الثاني ذكرها عند نشرهِ رسالتَهُ التي كانَ عنوانها: أبو الفرج الوأواء الدمشقيُّ.

آثاره: قيمةٌ، وافرةٌ، تربو على أربعمئةٍ وخمسين أثراً بين مصنفٍ، ومُترجَم، وبين مفسَّرٍ، ومنقودٍ، ورسالةٍ، باللغاتِ الروسية والفرنسية والألمانية والعربيةِ، في كبرى المجلات، ولاسيما مجلة الشرقِ البتروجرادية. من أشهرِ أعماله دراسةٌ في إدارة الخليفةِ المهدي، وشاعريةُ أبي العتاهيةِ، والمتنبي

والمعري، وترجمة رسالة الغفران للمعري سنة ١٩١٠م، ثم نشرَ المتنَ سنة ١٩٣٢م، ورسالةَ عن أثر الكتّاب الروس في الأدب العربي المعاصر سنةَ ١٩١١م وسيرةَ أبى دهبل الجمحي سنةَ ١٩١٢م وترجمةً لمختاراتٍ من كتاباتٍ لبعض الكُتّاب العرب: كقاسم أمين وأمين الريحاني واليازجي، وغيرهم ترجمةً كسا بها المعانيَ العربيةَ صياغةً روسيةً رائعةً. وكتبَ في تاريخ الاستشراق الروسيّ، وذكرَ بالخير الشيخَ الطنطاوي، وبندلي جوزي، ونشرَ مخطوطتَيْن مجهولتَيْن عن الجغرافيا، وعلمَ الفلكِ في الحبشة، وكتبَ عن إسبانيا المسلمة وجنوبي جزيرةِ العرب، والخلفاء العباسيين، وإيران، والقوقاز، وآسيا الوسطى، ونظرةً في وصف مخطوطات ابنِ طيفور، والأوراقِ للصولي، والحماسةِ للبحتري، وكان أول مَن اكتشفها في أوروبة، كما اكتشفَ مخطوط ابنِ ماجد سنة ١٩١٢م.

ونشرَ كتابَ الأخبارِ الطوالِ للدينوري سنةَ ١٩١٢م، وديوانَ الوأواء الدمشقي متناً وترجمةً روسيةً بمقدمةٍ في مئةِ صفحة، ووصفَ ديوانَ عمرَ المختارِ الكبيبيِّ في مكتبةِ الإسكندرية، ومخطوطاً جديداً للمجلد الخامس من تاريخ ابنِ مسكويه، والخليلَ واللغة، والتعاويذَ عند عربِ الجنوب، ومجموعةَ مخطوطاتٍ من القرآنِ لأوزبنزكي، والمخطوطاتِ العربيةَ من القوقازِ في القسم الآسيوي من متحفِ مجمعِ العلوم، ومخطوطاً جديداً لديوانِ ذي الرمةِ بشرحِ الأصمعي، وفهرسَ مخطوطاتِ البارون فون روزين في المتحفِ الآسيويّ نشرَهُ سنةَ ١٩١٨م. وفَهْرسَ المخطوطاتِ العربيةِ التي أهداها البطريركُ غريغوريوس الرابعُ إلى القيصر نقولا الثاني، ثم نُقلَتْ إلى المتحف الآسيويّ، وفَهْرسَ لمخطوطاتِ النصارى العربيةِ في مكتباتِ لينِنجراد، وقد جَعَلَهُ ذيلاً لكتابِ الأبِ شيخو «المخطوطاتُ العربيةُ للكُتّاب النصرانية». ولـه في تقاريرِ مجمعِ العلوم: «مجموعةُ مخطوطاتٍ عربيةٍ في قازان» نشرَها سنةَ ١٩٢٤م، وتهافُتُ الفلاسفةِ للغزالي في المتحفِ الآسيويِّ نشرَها سنةَ ١٩٢٥م، ثم المخطوطاتُ العربيةُ في المكتبةِ العامةِ نشرَها سنة ١٩٢٦م، والمخطوطاتُ الشرقيةُ من مجموعةِ جيرجاس في مكتبةِ لينِنجراد، ومخطوطٌ جديدٌ في وصفِ روسيا للشيخ الطنطاوي نشرَهُ سنة ١٩٢٨م، والمخطوطاتُ الشرقيةُ في قصرِ كاترينَ الثانية.

ومن بحوثهِ بالعربيةِ: مخطوطٌ طبيٌّ نادرٌ في روسيا، والمعريُّ والريحاني ولينِنجراد. ونشرَ مع فاسيلييف: تاريخَ يحيى بن سعيد الأنطاكي عن ثلاثةِ مخطوطاتٍ في مكتباتِ لينِنجراد، وترجم كليلةَ ودمنةَ، والأيامَ لطه

حسين، وكَتَبَ مقدمةً لديوانِ ابن المعتز مع كشّافٍ لمصنفاته نشرَهُ في الحولياتِ الشرقيةِ، وطبقاتِ ابن المعتز نشرَهُ سنة ١٩٢٦م، ونشرَ كتابَ البديع لابنِ المعتز بتحقيقه على عدةِ نسخ وتفسيراً وتعليقاً ومقدمةً بالفرنسيةِ في ثمانينَ صفحةً، وكتابَ القراءةِ العربيةِ في لينينجراد سنةَ ١٩٢٦م، وكتابَ الريح لابنِ خالوية وكتابَ المجالساتِ لثعلب.

ومِنْ مصنفاتِه: نشأةُ وتطورُ الأدبِ العربيِّ الحديثِ سنةَ ١٩٢٢م، والأدبُ العربيُّ الحديثُ بالألمانيةِ سنةَ ١٩٣٤م، وتاريخُ الدراساتِ العربيةِ في الاتحادِ السوفييتيِّ ترجمَهُ ألبر قطان في بغدادَ سنةَ ١٩٤٧ م.

ومن خيرةِ ترجماتِه نقْلُهُ القرآنَ الكريمَ إلى اللغةِ الروسيةِ، والجزءُ الثاني من الأيام لطه حسين. ومن بينِ مخلفاتِه الوافرةِ التي نُشِرَتْ بعدَ وفاتِه: مدخلٌ إلى اللغةِ والآدابِ الحبشيةِ نُشرَتْ سنةَ ١٩٥٥م.

وعملَ مجمعُ العلومِ السوفييتي على إصدارِ «منتخباتُ أبحاثِ كراتشكوفسكي» في ستةِ مجلداتٍ صدرَ منها خمسةٌ، ضمَّ المجلدُ الأولُ دراسةَ المخطوطاتِ العربيةِ، وأبحاثاً ومقالاتٍ بعنوان: الدراساتُ العربيةُ ومسائلُ تاريخِ ثقافةِ شعوبِ الاتحادِ السوفييتيِّ، ودراسةَ اللغةِ العربيةِ. وحوى المجلدُ الثاني أبحاثَهُ في الأدبِ العربيِّ الكلاسيكيِّ، واشتملَ المجلدُ الثالثُ على أبحاثٍ في الأدبِ العربيِّ الحديثِ ومقالاتِه عن الصلاتِ الأدبيةِ بينَ العربِ والروسِ، وتضمنَ المجلدُ الرابعُ تاريخَ الأدبِ الجغرافيِّ الغربيِّ، وقد نقَلَهُ إلى العربيةِ الأستاذُ صلاحُ الدين عثمان هاشم، وراجعَهُ المستشرقُ إيغور بليايف وهو من منشوراتِ الجامعةِ العربيةِ ١٩٦٣ م، وتضمنَ المجلدُ الخامسُ فصولاً في تاريخِ الدراساتِ العربيةِ في روسيا، ومقالاتُه عن المستشرقين الروس والأجانب، وتضمنَ المجلدُ السادسُ ترجمةً لكتابِ ابن المعتز، ووصفَ المخطوطاتِ العربيةِ الموجودةِ في مكتباتِ الاتحادِ السوفييتيّ. وبعدَ هذهِ المجلداتِ الستةِ صدرَ كتابٌ آخرُ بترجمةِ كراتشكوفسكي للقرآنِ الكريم سنة ١٩٦٤م.

وتركزَ نشاطُ كراتشكوفسكي على:

١- تاريخِ الشعرِ العربيِّ ونقدِهِ منذُ أقدمِ العصورِ إلى اليوم.

٢- الأدبِ العربيِّ لدى الأدباءِ النصارى.

٣- الأدبِ العربيِّ منذُ بدءِ النهضةِ الحديثةِ في القرنِ التاسعَ عشرَ.

٤- كانَتْ الحلقةُ الثالثةُ أولى مَنْ تناولَها من المستشرقينَ الروسِ وأحدَ قلائلِ المستشرقينَ العالميينَ الذينَ عَنوا بها.

٥- ومن مؤلفاتِهِ أيضاً: جغرافيا الجزيرةِ

العربيةِ في تصوراتِ الأقدمينَ، والعربُ والأدبُ العربيُّ في إبداع جوركي، والأدبُ العربيُّ في القرنِ العشرينَ، وأولُ وصفٍ عربيٍّ لرحلةٍ إلى أمريكا الجنوبية، وتياراتُ الأدبِ العربيِّ المعاصرةُ في مصرَ، والأدبُ العربيُّ في شمالِ القوزاق، وطبعةٌ جديدةٌ لمذكراتِ إبراهيمَ بن يعقوبَ عن السلافيينَ، وتحليلُ الاستشهادات الشعريةِ في معجم البلدانِ لياقوت، والرسالةُ الثانيةُ لأبي دلف في مُعجمِ البلدانِ لياقوت، وقيمةُ البيرونيِّ في تاريخِ الجغرافيا الشرقيةِ، وتاريخُ العلاقاتِ التجاريةِ للخلافةِ العربيةِ في القرنِ العاشرِ، ونموذجٌ منْ أساليبِ الدواوينِ العربيةِ في القرنِ التاسعَ عشرَ في شمالي القوزاق، وجغرافيا البحارِ في القرنَيْنِ الخامس عشرَ والسادسَ عشرَ عندَ العربِ والأتراك. ثم دراساتٌ عن الجُمحي، وسلامةِ بنِ جندل، وذي الرمة، والشنفرى، وعمرَ بن القميئة، وكتابُ المنازلِ والديارِ لابنِ منقذ، والنعمانِ بن بشير، وأبي نواس، ومسلم ابنِ الوليد، والأخطلِ، وعمرَ ابنِ أبي الربيعة، وعمارةِ بن أبي الحسن اليمني، وابنِ زيدون شاعرِ الأندلس، والوأواء الدمشقي، والمتنبي، وله أيضاً كتاباتٌ عن الشيخِ الطنطاويِّ الأستاذِ في جامعةِ بطرسبرج، ورزقِ الله حسون ناقلِ قَصَصِ كريلوف إلى العربيةِ، وسليمان البستاني، والدكتورِ طه حسين وآراؤه في الشعرِ الجاهليِّ ونقادِه، ثم قصتِه الأيام، وكذلك دراستان عن الشاعرَيْنِ: يوسفَ غصوبِ اللبناني، ومحمد مهدي الجواهريِّ العراقيِّ.

لقد اختلفَتْ اهتماماتُ المستشرقينَ الروسِ بالمخطوطاتِ العربيةِ والتراثِ العربيِّ الإسلاميِّ ومهما كانَتِ الأسبابُ فَقَدْ قدَّمَ هؤلاء المستشرقونَ خدمةً جلى في دراسةِ المخطوطاتِ العربيةِ والحضارةِ العربيةِ الإسلاميةِ منذُ القِدَمِ وحتى العصرِ الحديثِ.

